



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القط حيوان متواضع ألوف، خلقه الله تعالى - لمنافع كثيرة، وقد تعددت أسماؤه، ومن الطريف في هذا المجال ما يُحكى أنَّ أعرابياً صاد هِرَّاً فلم يعرفه، فتقاه رجل فقال: ما هذا السِّنُور؟ وَلَقِيَ آخر، فقال: ما هذا الهر؟ ثمَّ لَقِيَ آخر؛ فقال: ما هذا القط؟ ثمَّ لَقِيَ آخر؛ فقال: ما هذا الضَّيْوَن؟ ثمَّ لَقِيَ آخر؛ فقال: ما هذا الخيدع؟ ثمَّ لَقِيَ آخر؛ فقال: ما هذا الخيطل؟ فقال الأعرابي: أحمله وأبيعه لعلَّ الله تعالى يجعلَ لي فيه مَالاً كَثِيرًا !! فلما أتى إلى السوق قيل له: بكم هذا؟ فقال: بمائة. فقيل له: إنه يساوى نصف درهم. فرمى به، وقال: ما أكثر أسماءه، وأقل ثمنه!

وقد ورد النهي عن تعذيب القط في حديث مشهور أخرجه الشیخان البخاري ومسلم ونصهُ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «عَذَّبَتْ امْرَأَةٍ فِي هَرَّةٍ سُجِّنَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ، لَا هِيَ أَطْعَمْتَهَا وَسَقْتَهَا إِذْ حَبَسْتَهَا، وَلَا هِيَ تَرَكْتَهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ» والمقصود بخشاش الأرض : أي حشراتها وهوامها كالفارة ونحوها.

وقد جاء ذكر كيفية تعذيب هذه المرأة في حديث رواه الإمام البخاري في أكثر منْ موضع مِنْ صحيحه ، وَنَصُّهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «رَدَّتْ مِنَّيِ النَّارَ - أَيْ اقْتَرَبْتَ - ، فَإِذَا امْرَأَةٌ تَخْدِشُهَا هَرَّةٌ قَلَتْ: مَا شَأْنُ هَذِهِ قَالُوا: حَبَسْتَهَا حَتَّى مَاتَتْ جَوْعًا، لَا أَطْعَمْتَهَا وَلَا أَرْسَلْتَهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ»

وهذا الحكم لا يَخُصُّ القطة وحدها بل هو عام في سائر الحيوانات، كما أَنَّ العقاب المذكور لا يَخُصُّ هذه المرأة وحدها ، بل

مَنْ عَمِلَ عَمَلًا اسْتَحْقَقَ مِثْلَ عَوْقِبَتِهَا، وَإِنَّمَا أَخْبَرَ بِذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ لِتَحْذِيرِ أُمَّتِهِ مِثْلَ هَذَا الْعَمَلِ.

وهذا يؤكد - بما لا يدع مجالاً للشك - أنَّ الإساءة إلى الحيوان وتعذيبه وعدم الرفق به يعتبر جريمة في نظر الشريعة الإسلامية، وقد جاءت تعليقات الأئمة الفضلاء تؤكد هذا المعنى، فالأمام الصناعي يقول: "والحديث دليل على تحريم قتل الهرة لأنَّه لا عذاب إلا على فعل حرام"

ويرى ابن حجر الهيثمي أنَّ من أعظم الإساءة إلى الدابة أن يضر بها صاحبها ضرباً موجعاً بغير حق أو يحبسها أو لا يقوم بكفایتها أو يحملها فوق الطاقة.

أَمَّا الإمام النووي فيعلق قائلاً: "إِنَّ الْمَرْأَةَ كَانَتْ مُسْلِمَةً وَإِنَّهَا دَخَلَتِ النَّارَ بِسَبِيلِهَا، وَهَذِهِ الْمُعَصِّيَةُ لَيْسَتْ صَغِيرَةً بَلْ صَارَتْ بِإِصْرَارِهَا كَبِيرَةً". وقد ورد في السنة ما يدل على أنَّ البهائم تقتص من ابن آدم يوم القيمة نظير ما ظلمها أو جوعها.

والسؤال الذي يطرح نفسه: إذا كان هذا هو عقاب الله لمن عذَّبَ حَيَّاً، فكيف بِمَنْ عَذَّبَ مِنْ كَرَمِهِ اللَّهِ وَخَلْقِهِ بِيَدِهِ وَنَفْخِهِ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ؟! بل كيف بِمَنْ عَذَّبَ مُسْلِمًا لَا لِشَيْءٍ إِلَّا لِأَجْلِهِ الْمُعَذَّبُ وَإِرْضَاءُ لِخَيَالِهِ الْمَرِيضُ؛ وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: {وَالَّذِينَ يُؤْذِنُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمَنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بِهَتَّانًا وَإِثْمًا مُبِينًا} [سورة الأحزاب 58]، فَمَنْ آذَى مُؤْمِنًا حَيَّاً أَوْ مَيَّتًا بِغَيْرِ ذَنْبٍ فَقَدْ دَخَلَ فِي هَذَا الْوَعِيدِ، يَعْلَمُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ أَبْنَى تِيمِيَةَ عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ بِقَوْلِهِ: لَا نَعْلَمُ خَلَافًا فِي أَنَّ الَّذِينَ يُؤْذِنُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمَنَاتِ لَا تَسْقُطُ عَوْقِبَتِهِمْ بِالتَّوْبَةِ.

أَمَّا ابن القيم (المتوفى سنة 751هـ) فيقول مُتَعَجِّبًا: "إِذَا كَانَتْ اُمْرَأَةٌ قَدْ دَخَلَتِ النَّارَ فِي هَرَّةٍ حَبَسَنَهَا حَتَّى مَائَةٌ جُوَعًا وَعَطَشًا، فَرَآهَا النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي النَّارِ وَالْهَرَّةِ تَخْدِشُهَا فِي وَجْهِهَا وَصَدْرِهَا، فَكَيْفَ عُقُوبَةُ مَنْ حَبَسَ مُؤْمِنًا حَتَّى ماتَ بِغَيْرِ جُرمٍ؟"

أقول : رحمك الله يا بن القيم، تتعجب من حبس مؤمنا !! فما عساك تقول لو عشت في زماننا هذا ورأيت هؤلاء الذين يجرون عباد الله ويعذبونهم من قضاء حوالتهم حتى الموت؟ ورأيت من يحبسون شيوخاً رُكعاً وأطفالاً رُضعاً، ورأيت عمليات القتل للأطفال والنساء والشيوخ والعجائز، ورأيت أهل الكفر ينقلون المشتبه بهم من بلادهم إلى بلاد المسلمين ليتم تعذيبهم بشكل أكبر ويُفْنَى وإنقاذ؟ حَقًا إنَّ هَذَا بِالْفَعْلِ فَصْلٌ حَزِينٌ فِي تَارِيخِ أُمَّتِنَا.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرُأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هُؤُلَاءِ، اللَّهُمَّ لَا تَحْشِرْنَا مَعَهُمْ، اللَّهُمَّ خَذْهُمْ عَلَى غِرَّةٍ، وَأَنْزِلْ عَلَيْهِمْ بِأَسْكُنْهُمْ فِي سَكَرَةٍ، وَقَرَبْ مَسَافَةَ الْعَذَابِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَنْ أَهْلَكَ مِنَ الْأَمْمِ، مَصْدَاقًا لِقَوْلِكَ: {وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِيَعْدِ} [سورة هود: 83].

صيد الفوائد

المصادر: